

المرأة السعودية ... و معاركها لأجل وطن اقوى و اجمل

لا أتكلم ولا أكتب على نحو خاص عن المرأة السعودية ..لأن اهتمامي هو اهتمامات انسانية وطنية دون جنسها لا تناسب منهجي في الحياة ..لذا حين رغبت في الكتابة عن المرأة السعودية وبعد عميق تفكير ..(أخرجت من المقارنة مصادر القوة العظمى للسعودية مثل الدين والحرمين و القيادة الرشيدة العادلة) ...وجدت ان المرأة السعودية هي اقوى واجمل ما في السعودية ... وارجوا ان القارئ يجد حكيم هذا عادل و مستحق تماما مع ختام قراءته لأسطر موجزة تعبر عن قليل من كثير المرأة السعودية .
لنفهم المرأة السعودية ..سيكون علينا القفز فوق العديد من الصور النمطية التي قولبت المرأة السعودية في قوالب صاغها من لا يمثلها ولا يعبر عنها :

- سيكون علينا تجاوز الصورة التي شكلتها (من تسمي نفسها ناشطة حقوقية) فقد ثبت لنا بالبرهان ..انما هي ناشطة في الدعاية لنفسها والمساس بوطنها واستعداد الخارج و الداخل معاً على الوطن ..وبالتالي هي لا تمثل المرأة انما تمثل نفسها الصغيرة المحدودة ب الأنا والمصالح الضيقة .
- كذلك تجاوز الصورة التي شكلها (الدعاة النسويين المهتمون بقضايا و حال المرأة) و الذين البسوها تاج الملكية و حديثهم السمج عن انها ملكة تحسدها نساء العالم على ما هي فيه من ترف ودلال .. ملغين بذلك حقوق إنسانية عديدة لها ..بحجة ان الملكات لا يحتاجون حقوق الشعب .
- وعلينا تجاوز قولبة الاعلام الرديء للمرأة و دعاة التحرر اللاأخلاقي الذي جعل منها شكل اقرب ما يكون للبلابة والغباء واللامسؤولية في صورته مشوهة لا تشبه شيء من محيطنا .
- كما علينا تجاوز تغريدات مترفة لبعض فتيات يطالبون بحقوق المرأة المتمثلة فقط في قيادة السيارة مبدئين حيرتهم في اختيار BMW او مرسيدس جي 63 وهل تختار اللون بِنك ○ أو فوشيا درجة سيكلما ○...و الفرق مقداره درجتين لمن لا يعرف طيف الألوان الدقيق .. و صدقوني هذي القضية اللونية ربما تؤرق نوم ماري انطوانيت عصرنا .
- و غض الطرف عما نراه في شوارع لندن وباريس وبعض المدن حول العالم من استعراض صناعي لقلعة من فتيات سعوديات يجعلن الجاهل بالحقيقة يصدق الدعاة النسويين ..وان السعوديات ملكات بحق ، او انهن اذا حصلن على حقوق وصلاحيات فالنتيجة ستكون خروج المرأة السعودية من هويتها من حيث الدين و الاخلاق .
- كما على البعض من الانسانيين من ذوي الوعي و الحقوق.. أن يتجاوز دائرته الممكنة من النساء سواء في محيط أسرته او الاعمال ..ولا يعتقد ان بقية المجتمع يشبه من يراهن يتلقين الدعم والتمكين و التقدير .

نحتاج القفز فوق كل الصور النمطية التي تشكلت في اذهاننا ...والنظر عن قرب كما فعل الكثير غيري و ايضا فعلت انا شخصيا ..في زيارتي لبعض مناطق المملكة وتعرفي على جوانب اجتماعية منها وحرصني على لقاء النساء فيها لمعرفة المزيد عن ظروفهن وفق المناطق التي يعشن فيها ..و تشرفي بالسماع لهن في احاديث تناولوا فيها المرأة بين الامس واليوم ، مبدئين في حديثهن الحاجة والطموح و الأمل و كم تمنيت في مرات عدة لو امكنتي تسجيل ما قلته وبثه من منابر المساجد كخطبة جمعة.. ففي حديث بعضهن من الواقع والحكمة والايمان و الوطنية والعطاء والصبر ما يفوق الكثير من حديث الخطباء .

لنفهم امرأه اليوم علينا المرور بموجز مختصر جدا ل إطار ماهيتها ، تاركه للقارئ الكريم اكمال تفاصيل الصورة من معرفته ومعايشته للمرأة في محيطة من جدة وام واخت وقريبه وزوجة وبنت وجارة وزميله ..ومن تاريخ (شفي) نقلته نساء اسرته في قصص يروونها في مجالسهن ..لاستجلاب روح الإزادة والصبر من تاريخ مضي . فالتاريخ الذي تسيدته الرجل وكتبه رجل .. نقل لنا القليل جدا من قصص بطولات ومواقف المرأة في الجزيرة العربية ثم في الدولة السعودية .

□ في تاريخ المرأة في الجزيرة العربية قصص عظيمة ملهمة و سيكون من غير المنصف ان اشير لقصة واحدة فالقصص كثير ..لكن المنصف ان اشير للمشارك فيها ..من كون المرأة في جميع القصص مثال عظيم على الحكمة و الشجاعة والثبات والشرف ..لها دور في حرب و في سلم...تقوم بدور رب الاسرة بالكامل في غيابه من حماية الاسرة و تربية أبناء و غزل بيتهم و صنع طعامهم ولباسهم وزراعة و رعي و ضيافة و ادب وشعر وصبر على مخصصة كانت المرأة في غياب رجالها تمثل قطاعات اقتصادية كاملة ..من زراعة و تجارة وتعليم و امن ..الخ ، كل هذا والصحراء حولها مطبقة ..رغم ذلك زرعت هذي المرأة المباركة في جيناتها بذور النخيل التي ورثتها نساء وطن اليوم .

□ ثم جاء العهد السعودي الزاهر محملا بالخيرات متيحاً للرجال والنساء معاً قطاف عادل لمزايا المرحلة ..فوقف في وجه الكثير من النساء شرادم المجتمع من غلاة المتشدددين و المشككين و الجهلة ..محرمين عليها التعليم والعمل وصوتها وخروجها و ان تبدي رأي و أن تلبس لباس بسحاب او تفرق شعرها وتسرحة ..وطالت قائمة التحريم والمنع مصحوبة بتوظيفهم لحديثا(غير المنكر بيده ولسانه) اما القلب فلا وجود له في معادلتهم ..فطالت أيديهم والسنتهم كثيرا و نالت من حقوق وكرامة بعض النساء وسط مجتمع تقاليده تمجد من يتكلم باسم الدين وأن كان على خطأ...وانطلقت حركة اضطهاد كبرى للمرأة تواجهها في كل مكان بهدف محاصرتها وجعلها لا تغادر بيتها ..وحتى في بيتها لم تسلم ..قام الدعاة المتطرفين ..بتحريض الذكور على نساءهم ..واوجدوا قواعد تعسفية للتعامل معها في البيت ..فكانت النتيجة أن المرأة مضطهدة في بيتها .. متربص بها مصادرة الحق والمشاركة في خارجه ، هذا الوضع لا يمكن تخيل تفاصيله البشعة جدا والظالمة جدا في حالات ، لولا رعاية الله ثم إرادة المرأة السعودية التي هي نتاج تلك البذرة القوية لأمهات وجدات عظيمات ولولا ان الحكومة الرشيدة اوجدت لهن الحقوق العامة التي تسمح لهن بالعلم والعمل ودعمتها في هذي الحقوق الاصيلة وحرصت على ان تكون المرأة السعودية في كرامة وتمكين .. ولولا مسارعة النساء باستثمار حقهن في العلم والعمل وعدم رضوخهن للتعسف و مصادرة حقوقهن و البقاء خلف جدران الجهل والقهر.. لما كانت الدولة السعودية بأكملها على ما هي عليه اليوم من حال .

.. لكانت غالبية نساء السعودية مثل حال نساء مناطق التشدد حول العالم وكان المجتمع بأكمله الان طافح بالجهل والتخلف ، فله الفضل اولاً ثم لحكومة رشيدة شجاعة.. في عونهم للمرأة السعودية لتكون .. عندما أرادها البعض ان لا تكون .
 كان الوطن رجال بلا شقائق من النساء .. و لما وجدت أم تتعلم وتعمل و تربي و تعلم.. لتخريج كل هؤلاء النساء و الرجال العظام الذين يقودون الدولة للمعالي ..لو لم تجاهد النساء في فترة الاضطهاد وتأخذ قرار بالتقدم و المضي في تحصيل حقوقها ..لكان واقعنا اليوم لا يمكن وصفه ، لقد لزم المرأة السعودية ان تخوض حربها بحكمة و صبر ..لم تخرج للشوارع مثل مثيلاتها في العالم في تظاهرات فهذا ليس منهجنا ولا يناسبنا لا اليوم ولا غد ..و لم تتوقف وتستسلم مثل غيرها وتقول تعبت من المحاولة ومحاربة الظلام ... انما اختارت ان تكسب معاركها ..واحدة تلو الأخرى ..دون كسر لكرامة رجالها سواء رجال اسرتها او مجتمعها او قيادتها في دلالة بالغة الأهمية على حجم التضحيات و الايثار الذي قدمته في طريقها و ما هي عليه من عمق و عطاء و صبر ..ولم تصادم مجتمع لتركيبة نظام تشويه تقاليد بالية ..فوطنيتها غلبت على مطالبها و مصالحها ..واختارت هذي القوية الشجاعة التقدم في معاركها بتمهل وثبات معها القليل من الدعم والكثير جدا من الشعور بالحق والاستحقاق ، تكسب معركة تلو المعركة بهدوء و دون تباهي متقدمة لما بعدها ..معركة العلم ..والعمل ..والرأي ..وعدد من الحقوق ..تتقدم وهي تقدم وطنها امامها ..محترمة رجالها ..خافضة صوت الخلاف والصدام معلية صوت التفاهم و السلام . والحال هكذا .. ليست المرأة السعودية هي اجمل واقوى ما في السعودية ..ليس يمثلها تباهي الأوطان ..كل الحكم و أمثال الشعوب تؤكد ان ..ما عليه نساء وطن ..هو ما عليه حال الوطن بأكمله ..لذلك قولنا بثقة واعتزاز ..أن نساء السعودية قويات شامخات عزيزات .. هو إسقاط مباشر وصرح على أن الوطن قوي عزيز شامخ .

ان المعارك التي خاضتها المرأة هي معارك لم تنتهي ولا زال بالإمكان للشرفاء الاشتراك في الحالي و القادم منها ...وتقصير امد النصر بها للوصول الى نتائج اسرع تتطلبها ظروف المرحلة ...و ربما يجد كامل المجتمع أن الوقت حان ليتم تقدير المرأة السعودية وشكرها على طول كفاحها و صبرها ..و أن الوقت حان ليعضدها رجل المجتمع ذو المرؤة بعد طول حربها بالنياية عنه امام جيش التشدد والقمع والتقاليد السلبية البالية ، الوقت مؤاتي لتعضدها الحكومة الرشيدة بالمزيد من القوانين والتشريعات التي تمهد لها الطريق بسلاسة لتنهض بواجباتها الوطنية والدينية والاسرية والشخصية ، ونصرتها في معاركها المتبقية ..ان معاركها الان هي معارك امام جيش ظلام وتشدد وجيش تغريب وطمس هوية ..من ذلك (وليس حصراً) :

- ✓ معركتها في القضاء ..وكم في أروقة المحاكم من قضايا تدمي الحجر قبل القلب ..المرأة في القضاء تخوض حرب لا يعلم الكثير عنها ..ولا الاعلام يكتب عنها .. الالف النساء والأطفال يتلقون الإهمال والظلم ، قضايا تمر عليها سنوات طويلة ولا تحسم ..واسر راحت طفوله أبنائها في انتظار حكم قاضي لا يرحم .. نساء و أطفال بلا بيت ولا نفقة ولا عائل ولا حقوق ...المعركة هنا هو حسم قضائي وتقنين للقوانين والمدد و انجاز للمعاملات في اسرع وقت ممكن بأعلى عدل وجودة ممكنة .
- ✓ النساء في مواقع الفقر والحاجة والعوز والضمان الاجتماعي واعلتهن ..لا يمكن تصور حالات الفقر و الانكسار التي عليها بعض النساء ..لا تكفي المبالغ الزهيدة التي تصرفها لهن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في العيش باقل كرامه ممكنة ، ان المعركة هنا هو رفع جودة حياتهن وتوفير المتطلبات الاساسية لهن وإيجاد برامج افضل من الموجود و رفع مستوى مسؤولية كافة اطراف الدولة و المجتمع حيالهن.
- ✓ بعض نساء مناطق الفقر (و مع عوامل الجهل و ربما الإدمان والعنف عند ولي امرهن)..يعانين افضع المعاناة من استخدامهن كسلعة جسدية اما بتزويجهن قاصرات تغتال طفولتهن ..او بما هو ادهى وأمر مما لا يستطيع قلبي ان يكتبه لبشاعته ..وهي ممارسات توفر لولي امرهن ريبالات مغمسة بالعار يشبع بها فقره وادمانه ...الامر ليس قليل محدود كما يتصوره البعض الأمر يتزايد على نحو مفرح ..لكن لا احد يحب الحديث عن هذا العار ..المعركة هي اصدار قانون يحيي النساء والأطفال من سطوة ولي امر ظالم فاسد .
- ✓ معلمات يمتن على الطرقات ..قتلى وجرحى ومعاقات جراء تنقلهن بين البيت والمدرسة البعيدة مئات الكيلو مترات في جهاد تمارسه المعلمات في كسب لقمة عيشها وأداء رسالتها ..المعركة اصلاح في وزارة التعليم ينهي ويعالج هذا الملف من جذوره .
- ✓ نساء يحتجن المناصرة .. هناك من زوجها يحارب وتعول أطفال وهي بلا معين لها قريب ، هناك من كبرت في السن ولا تجد كرامة العيش ...المعركة هي ايجاد برنامج وطني لدعم وتكريم النساء
- ✓ نساء متهومات على الدوام ..لا لشيء الا لأنها امرأة ..يحاصرها بعض المتشددون في أي مكان تكون فيه ..لدهم تهم جاهزة معلبه ..المعركة هي تجريم التحقير و التعدي على حريات وكرامة أي انسان ..مواطن او مقيم ..رجال و نساء .
- ✓ نساء بذلن الجهد المطلوب ليحصلوا على فرص عادله في العلم والعمل بكرامة ، من حقهم الحصول على وظائف تتناسب معهم ومع كونهن بنات وطن من اثرى اوطان العالم ..المعركة اصلاح سياسة تعليم وتوظيف المرأة السعودية .
- ✓ النساء يحتجن المناصرة في مواقع الاعمال النوعية الوطنية ، رغم التفوق والتقدم الذي أحرزته المرأة لكن نجد المتعنتين من بعض التنفيذيين يطيحون بالجهود ويصادرون الرأي و يستبعدون المرأة من المشاركة في صنع القرار و صوغ المستقبل ، المعركة هو ان تنبى القيادة قضيتهم و توجد للنساء مواقع رئيسية في سدة القرار خاصة والقيادة معروف عنها نصرتها لكل ما هو حق وعدل للمواطن سواء سيدة او رجل ، المعركة هي تبني القيادة لتشريعات تمكن المرأة من المشاركة في صنع القرار وتبوء مراكز و وظائف في الحكومة تجعلها شريكه فعلية في القرار و التنمية .

وفي الختام اذكر .. اني كتبت هذا المقال على عجاله ..والوارد فيه لا يكفي ولا يصف حقيقة وعظمة المرأة السعودية ... كما أؤكد اني لست امثل صوتهن ولا مطالبهن بل امثل رأيي حولهن ..وما اعتبره شخصياً مطالب عادلة فيما ذكرته ..وكل ما ذكرته وجهة نظري و زاوية صغيرة من مساحة عظيمة تتطلب من اطراف العلاقة بالمرأة وتمكينها ان يصلو للصورة الاشمع عنها ، متمنية ان يعقد لقاء عميق و شامل حول المرأة السعودية حول نصف الوطن بحضور عراب التنمية الأمير محمد بن سلمان و السماع لكافة الأطراف سواء المطالبين بمزيد من تمكين المرأة ..ومن هو ضد هذي المطالب ..فللجميع حق الرأي ..والوطن العظيم الكريم يتسع للجميع .